محمود سعيد

الأخلاق

وبقاؤنا كمجتمع ودولة

اهداءات ٢٠٠٢

الشاعر/ عبد العليم القباني

الإسكندرية

محمود سعيد

الأخلاق

وبقاؤنا كمجتمع ودولة

دار الوزان للطباعة والنشر - [illegible]
٤٤ صلاح الدين باسكندرية ت [illegible]

مقدمة

يدلنا التاريخ والأحداث والكتب السماوية على أن القيم والتماسك النفسى والعقلى أو القوى الحيوية للأمم تضعف ، وتتفكك روابط الفكر والوجدان مع طول الأمر فتفسد النظم وتعم الفوضى وتقسو القلوب وينحط التفكير ويرتفع الجهلة والأفاقون إلى مناصب العلم والفكر والشرف ويساوم الناس على حقوق بعضهم فتنهار الدولة تبعا لذلك . أذ أن الفوضى نتيجتها فوضى أكبر منها ثم الضياع والاستعباد. فهل هذه هى سنة الوجود ؟ آم هناك تفسير أخر لذلك ؟!!

ان روح الانسان (وهى وحدة الفكر والوجدان) لاتموت والصفات العقلية والنفسية الموروثه والمكتسبة تظل مترسبة داخلنا ولكنها كالشموع يظل ضوؤها خافتا ضعيف التأثير على خلايا المخ وعضلات القلب وأوتار الأعصاب .

ذلك أن المخ بخلاياه العديدة هو الآلة التى تلتقط ما توحى به هذه الشموع من أخطار، والقلب هو الآلة التى تلتقط ما توحى، به هذه الشموع من أحاسيس ومشاعر وعواطف وخيال وأمل يؤدى إلى الرغبة ثم إلى الصبر والاحتمال والمثابرة وقوة الارادة فاذا نحن روضنا خـــلايا المخ على النشاط والتيقظ بالتأمل والتفكير ، وروضنا القلب على دقـــة الاحساس فسينشأ من ذلك ترابط بين الروح وبين أعضاء الجسم الخاصة بالفكر والوجدان والعمل فينمو ، وينشط داخلنـا عنصرا الفكر والوجدان الذى يحدث من ارتباطهما طاقة عظيمة تؤدى إلى عمق فكرى يرفع المجتمع إلى أعلى القمم ويؤدى به إلى كفاءة عالية فى استخدام كل ماعنده من امـــكانيات مادية وأدبية فيستفيد المجتمع من المدارس والجامعات والنوادى والجمعيات ويكون كل ذلك وسائل لتنمية وجدانه وفكره ومواهبه ونبوغه واستغلال هذه المواهب والنبوغ إلى أقصى حد لتدعيم عناصر بقائه ووجوده . لأن كل امكانية فى المجتمع هى من أجل بقائه ووجوده وقوته ، وإلا أصبحت مجرد فاترينات عرض ووسائل إستغلال تؤدى إلى تجميد الفكر والمواهب

والنبوغ .

إن المواهب والنبوغ من أعز ثمار المجتمع ودعائم قوته وهى البراءة امام الأمم الأخرى باستحقاقه الأرض التى يعيش عليها ، وجدارته بالبقاء . وهى كذلك أساس احترام الأمم له وتأييده والوقوف بجانبه .

ثم إن أهم معمل لتفريخ المواهب وتنمية النبوغ واحداث الطاقة اللازمة لتقدم المجتمع تقدما ايجابيا هى :

المصانع والمؤسسات .

ان المصانع والمؤسسات هى اخطر نقطة فى المجتمع . ففيها كل الحوافز المادية والأدبية لرفع الكفاءات وتحويل الفكر والوجدان إلى أعمال عظيمة تخدم المجتمع أجل الخدمات فى السلم والحرب على السواء لاسيما بعد التأميم . هذا إذا كان استغلال هذه الحوافز مبنيا على النزاهة وتقدير خطورة المسئولية . وذلك لايكون إلا بالادارة الواعية البالغة النزاهة حيث أنه لايحق لاحد ان يستغل هذه المصانع والمؤسسات لصالحه أو صالح أحد خصوصا بعد تأميمها . وان أقل ثغرة فى الادارة وفى أخلاقياتها يؤدى إلى تجميد المواهب والكفاءة

ويحل محلها النقاش والجهل والتفاهة وتصبح المصانع والمؤسسات بجرد آلات ومبانى يفسد داخلها مايجب أن تصلحة . وكل ذلك جناية على المجتمع وعلى الجميع . فأن الفرد يمكن ان يعيش بدون مجتمع ودولة ؟! بل الفرد الذى مجتمعه ضعيف تقفل فى وجهه أبواب العزة والكرامة وتفتح أمامه أبواب الاحتقار والكراهية مهما بلغ ذكاؤه ومهما بلغ أمره فلنتدبر !!

والادارة ليس لمجرد وفرة الانتاج فقط ولكنها قيادة عظيمة فى يدها نشاط الروح أو خمولها . فلابد أن تمتاز الادارة بأرقى ما يمتاز به الفرد من صفات أخلاقية ووعى فكرى ونفسى جدير بالمسئولية التى تتحملها . فاذن الروح لاتموت ولكنها تخمل فقط ويمكن تنشيطها من جديد ، وذلك بالتفكير والعمل الجادين وتقويم الكيان النفسى والعقلى .

ويجب أن نعلم أن أهم عنصر فى هذا الكيان هو الايمان . لايمكن أن تتقدم أمة الا بالايمان ؛ فهذا العنصر هو الوحيد الذى يربط الفكر والوجدان ويؤدى إلى سهولة تفجير الطاقة والحيويه التى تؤدى إلى بناء أعظم الامم والدول فبحسب

مستوى ايمان المجتمع يكون تقدمه . لذلك فقد جنى بعض المفكرين ومن يدعون الاصلاح . على مجتمعنا حين قالوا بأن الدين هو سبب الجمود الفكرى مع أن الدين هو موضوع ايماننا وهو الطاقة التى لو أحسن هؤلاء المدعون توجيهها لتفجرت وأتت بأعظم الثمار .

ان الدبن هو أهم عنصر فى تكوينا وأهم موضوع لايماننا ولذلك من العبث تقويض هذا العنصر حيث أن جذوره متأصلة فى نفوسنا عبر آلاف السنين ولايمكن أن يحل عنصر أساسى آخر محله بعد هذا التأصل .

لذلك فان أقل ذبذبه له تؤدى الى تميع وتحلل كياننا النفسى والعقلى فتضعف الصفات الأخرى ونعيش فى ضياع وفراغ . وهذا ما أثبتته التجربة . ومن العبث أن نعتذر بأننا فى مرحلة تطور فهذا الادعاء قد مضى أوانه ، اذ أنه من السخرية أن نظل فى مرحلة تطور أو أن ندعى ذلك إلى ما شاء الله . ويكفى دليلا ما نراه من التطور فى الأمم الأخرى . فلنحذر هذه المعوقات .

وهنا يمكننا أن ندعو مدعى الاصلاح إلى تـأمل مايقوله القرآن العظيم وهو أحدث الكتب السماوية .

بسم الله الرحمن الرحيم

ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون . اعلموا أن الله يحي الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون .

(صدق الله العظيم)

فقد قال الله فى أول الآية (ألم يأن للذين آمنوا ثم قال ما معناه إن طول الأمد يقسى القلب ثم قال انه يحي الأرض بعد موتها . معنى ذلك أن طول الأمد مهما كان تأثيره كناموس طبيعى على جدية الخلق كله وعلى المبادىء والقيم . فان هذا التأثير يتوقف اذا نشط الايمان . وبذلك يظل المجتمع محافظا على نشاطه الفكرى والوجدانى .

فليتأمل العاقلون ؟ المؤلف

الأخلاق وأثرها فى تقدم المجتمعات والأفراد

الأخلاق وبقاؤنا كمجتمع ودولة

بما أن موضوعنا فى الأخلاق فالواجب أن نبدأ باسم الله اعترافا يقينا بوجوده وتعظيما واجلالا لعظمته وعلمه وقدرته اجلالا لايحده شعور ولا يحصره عقل . ذلك لأن معرفة الله أساس الأخلاق ورأسها .

والصلاةوالسلام على محمد ﷺ وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وعلى عيسى وموسى ومن سادت به مضر تقديرا لبطولتهم التى انبنت على التكامل الأخلاقى وعلى جميع الصفات الأخلاقية بدون ضعف فى صفة دون الأخرى. ولذلك كانت هذه الصفات وحدة متجانسة ومتماسكة ليس فيها ثغرة تهز كيانهم النفسى أو تضعف من جهادهم وكفاحهم .

ان الصفات الأخلاقية هى العناصر التى تكون القوى

المعنوية والحيوية وهى التى تساعد على تفجير القوى النفسية والعقلية الهائلة الكامنةفى الانسان والتى تخلق المعجزات وتجعل منه مجتمعا متماسكا تفيض فيه قوى مخيفه تدك أذ اشاءت وتهادن اذا شاءت وكما أن الصفات الأخلاقيه هى عناصر هذه القوى فالاخلاق هى التى تنظم هذه القوى وتحسن توجيها فتكون منها اما عواصف تقضى على الظلم والطغيان فيستقر العدل وتنتشر الطمأنينه ويسود الخير وتقوى الثقة .

واما تيارات نفسية وعقلية تنمى الاحساس بالسعادة فتنشط النفس والمشاعر وينشط العقل وتحسن المعاملة بين الناس ويرتفع المستوى المادى والأدبى على اساس الفكر والعمل لاعلى أساس النفاق والخداع والجشع والأنانية . فتقل المآسى والمشاكل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية . ويخلق الجو الذى يساعد على سلامة الروح والعقل والجسد ويمكننا أن نستنتج من سلامة الروح والعقل والجسد مايتبع ذلك من العمل الخلاق والنشاط الدائم المفيد بالاضافه إلى التوفيق والخير الذى تمنحه القوى الغيبية التى نؤمن بها والتى لاحدود لقدرتها .

بعد ذلك نقول

لما كانت الأخلاق أساس المجتمع وركنه الركين وعماده الذى يقوم عليـه ، كان من الواجب على كل فـرد أن يتكلم فيها وأن يدعو إليها وإلا انهار المجتمع بين الندامة والحسرات (ولذلك حض القرآن على ذلك بأسلوب يبين مـدى أهمية هذا الأمر)

وكذلك قال الشاعر

(وليس بعامر بنيان قوم   اذا كانت أخلاقهم خرابا)

وكذلك قال

(انما الأمم الأخلاق مابقيت   فان ذهبت أخلاقهم ذهبوا)

وليس هذا من قبيل الخيال والشعر وانما الأخلاق هى عنصر الحياة والقاعدة التى وضعت لها ـــ

وليس من المهم أن يكون الانسان عالما كبيرا ولـكن المهم ان يقول الانسان ما يعرف مادام فى معرفتة شىء من الفائدة وليس من المهم أن يكون الانسان عبقريا عظيما وانما المهم أن يستغل الانسان مواهبه فى الخدمة والمنفعه العامة .

فبقدر ما تستغله من المجهود فى هذا السبيل بقدر ماتـكون

عظيما — فليس القصر الشامخ الكبير اذا كان منهار البنيان واهى الأساس كالبيت الصغير اذا كان متينا مؤسسا .

وليس من المهم أن يوصف مجتمع بالذكاء . فالذكاء ليس فضيلة لأنه قد يوجد فى الحيوانات وانما ما يجب أن يوصف به المجتمع هو قوة الارادة والعمل .

ولقد قال المسيو جوستاف دى لوبون فى كتابه (سر تطور الأمم) : (يلاحظ تفوق الطلبة الشرقيين على الطلبة الغربيين فى الجامعات الأوروبية ويمتاز هؤلاء الطلبة بذكاء ممتاز . ولكن بعد التخرج يتفوق الطلبة الأوروبيون على الشرقيين فى الحياة العامة ويظل الطالب الشرقى بعد التخرج موظفا أو كاتبا أو صاحب وظيفة تقليدية . أما الطالب الأوروبى فيصبح صاحب عمل خلاق ومبدعا فى الحياة ويكون من أثر ذلك تقدم مستمر فى الآداب والفنون والعلوم والمخترعات وجميع نواحى الحياة مع جمود أو تقدم غير محسوس فى الشرق بالرغم من كثرة عدد الطلبة الشرقيين وذكائهم) .

يقول السيد ريتشارد اوكلاند

يدعون بأن العوامل الاقتصادية هى التى تحرك الانسان ولكن الأخلاق النقية هى عبارة عن قوى هائلة محركة له .

ذلك لأن العوامل الاقتصادية بدون أخلاق يمكن أن تستغل استغلالا سيئا ويمكن أن يدخل فيها عوامل الغش والخداع والجشع الذى يقضى على الثقـــة ويضعف الرابطة الاجتماعية العـــامة .

ولما كانت الأخلاق هى عناصر النفس التى تنبنى عليها الحياة المستقرة فان التنظيم والمبادىء والمذاهب حتى والأديان لاتبق ولاتوثر بدون الأخلاق لأنها فى هذه الحالة تكون غير مرتبطة بالنفس وعناصرها فلاتثير فيهـــا النشاط ولا تفجر فيها القوى الهائلة الكامنة فيها .

وبدون الأخلاق تتقوض المفـــاهيم فى النفوس فيعيش المجتمع فى فراغ مزعج يقضى عليه ويفككه وينشر بين أفراده السلبية والعزلة المميتة التى تقضى على نشاطه وانتاجـــه وجميع ما فيه من القوى ماعدا القوى المضادة التى تساعد وتسرع فى

ضياعه .

وأهمية المحافظة على الأخلاق تنحصر فى أنها كالبناء سهلة الانهيار صعبة البناء .

الأخلاق والأديان

تجىء الأديان بعد أن نصبح المجتمعات الانسانيه حقـــل تجارب للرذيلة وآثارها عندما تنشر تبعا لانتشـــار الرذيلة المظالم والمـآسى التى تثقل كاهل الفرد والمجتمع والدولة وتـكون هذه المـآسى تجربة واضحة لمـا ينشأ عن ضعف الأخلاق فتجىء الأديان ببعض المبـــادى وببعض الغيبيات وتجىء فى صورة أوامر ونواهى تسـاعد على ايقـــاظ النفس فتنشط الأخلاق ويشعر الناس بالأثر الطيب والراحة النفسية التى كانوا متشوقين لها . ولذلك فـالبرغم من مقـابـــلة الاديان فى أول الامر بالمعارضه وايذاء دعاتها وحربهم حربا لا رحمة فيها ولا هوادة فان الأديان كما لها من أثر على الأخلاق أو من اظهارها لأثر الأخلاق على الحياة تنتشر انتشارا رهيـا وعاما ولـكن عندما تبدأ الأخلاق فى الانهيـار أو كما قـال القرآن ما معناه

عندما يطول العهد و تقسوا القلوب فيبدأ الانسان يستغل تأثر الناس بهذه الأديان فيغشهم وينهب حقوقهم وأموالهم باسم الدين وتنتشر المآسى والآلام باسم ارادة الله والقضاء والقدر . عند ذلك يبدأ الانقلاب على الاديان ويكون هناك رد فعل شديد على الأفراد والمجتمعات مما يؤثر تأثيرا سيئا على الناس وعلى الصحه النفسية والعقلية والجسمانية . أذن الأخلاق تحمى الأديان كما أنها تحمى النظم والمبادىء والمذاهب بالاضافة إلى حمايتها للقوى البشرية من جميع النواحى (العقلية والروحيه والجسمانية) .

الاخلاق والفلسفة

تأملت لفلسفة هذا العالم الغامض وبحثت فيه عن السعادة وانقسمت ثلاثة أقسام : ١ ـ فلسفة روحانية تبحث عما وراء الطبيعة ـ ٢ ـ فلسفة واقعية ـ ٣ فلسفة مادية .

١ ـ الفلسفة الروحانية : تؤمن بالكمال المطلق وتبحث عنه وتعمل له ويتبع ذلك الايمان بالخلود . وذلك مما يثير فى النفس عناصر وانفعالات تسمو بالاخلاق وبالمشاعر إلى

مستوى الكمال والسعادة والطمأنينة .

ولكن من آثار هذه الفلسفة الانعزال عن الحياة الاجتماعية والسلبية المطلقة وسهولة الاستغلال مما يبعدها عن هدفها ويسيء إليها وإلى الأخلاق كل الاساءة .

٢ ـ الفلسفة المادية : بعد القضاء على نظام الأشراف فى أوروبا والقضاء على الاقطاع والاستعباد ظهرت الرأسمالية بعنف وحماس وتطورت تبعا لظهورها الآراء والأفكار وانتشرت المادية وعلل العلماء بها سلوك الانسان وأصبحت الصفات الأخلاقية التى تمثل الكيان النفسى للانسان لا شأن لها بسلوك الناس وانما بنى سلوك الانسان فى نظرهم على تبادل المنفعة . فالمنفعة اذن هى التى تحدد هذا السلوك وتكيفه وكان من آثار هذا الرأى مآس عالمية واجتماعية لاحد لها وقلق واضطراب ومشاكل جعلت الانسان يعيش فى جحيم . وما وسائل اللهو العديدة التى اخترعها هذا العهد إلا دليل على الحيرة فى محاربة هذا القلق الذى يزداد بازدياد هذه الوسائل .

٣ ـ الفلسفة الواقعية : وهى الفلسفه التى تبحث فيما هو

كائن وتعمل على اصلاحه ومن أعاظم الفلاسفة فى ذلك أرسطو فقد جعل الاخلاق من عوامل السعادة وقسمها إلى الصفات التى اعتاد الناس فهمها ولكن حدد هذه الصفات وأوضح معانيها ووضح لكل صفة نقيضا كالكذب والصدق والشجاعة والجبن وجعل لكل صفة حدودا بطريقة هندسية . فإذا تعدى الشخص هذه الحدود أنقلبت الصفة إلى نقيضها وتحديدالصفات بالطريقة الهندسية ربما يكون خياليا ولكن الواقع أن هذا الفليسوف يريد أن يوضح ضرورة الاعتدال فى كل صفة بطريقة حسية واضحة .

الواقع أن الصفات الأخلاقية ماهى الا الوحدة النفسية ذاتها عند الانفعالات المختلفة التى تدفع إلى السلوك . فقد يكون انفعال ما شجاعة فى احد المواقف وقد يكون نفس الانفعال حمقا ونزقا فى موقف آخر .

الاخلاق والفرد

لكل فرد كيان نفسى خاص وكيان عام بمعنى أن لكل

فرد صفات نفسية يشترك فيها مع جميع أفراد مجتمعه وصفات أخرى يشترك فيها مع جميع أفراد المجتمع الانسانى وفى رأيى أن الانسان عموما يشترك فى جميع الصفات الاخلاقية ويختلف فى تكامل هذه الصفات وتجانسها . فكما أن الانسان يشترك فى شكل الجسم وصفاته الا انه يختلف فى شكل الملامح حتى انه ليمكننا أن نميز بين ملايين الناس بهذه الملامح الدقيقة الاختلاف فكذلك الصفات قد يكون القوى فيها فى فرد ضعيفا فى فرد آخر وهكذا والقوى والضعف على مستويات كثيره التعدد مما لاحصر لها وبذلك يكون لكل فرد كيان نفسى خاص بهذا الاختلاف وكيان عام بوجود كل الصفات فيه اذا أغضينا عن الضعيف فيها والمترسب والخامل . وهذه الصفات الخاملة والمترسبة هى التى تظهر . وقت الاثارة والأزمات بعنف والصفات الاخلاقية فى الفرد كما هى فى الجماعة تمثل القوى الحيوية اللازمة لنشاط الحياة وتقدمها . وهى اذا اهملت ضعف الفرد وانحلت رابطته بمجتمعه فينتشر الانحراف والسلبية والسلوك الهدام لأسس الحياة واستقرارها ونشاطها . لذلك

يجب العمل على تنشيط هذه الصفات وتنميتها لتحمل متطلبات البقاء والمستقبل . وان الأديان فى بعض المجتمعـــات والعمل الجاد والرياضة والمبادىء الملزمة لهى من وســـائل التنشيط المهمة .

الأخلاق والمجتمع

للمجتمع كيان نفسى أو أخلاقى يتكون من اندماج وتفاعل صفات الأفراد على اختلاف مستوياتهـا فى الضعف والقوة ، والصفة أو الصفات البارزة فى المجتمـع هى الصفة أوالصفـات الأقوى فى الأفراد وتختلف هـذه الصفات فى الضعف والقوة بين مختلف المجتمعات فيستقل كل مجتمع عن الآخـــر ببعض الصفات البارزة التى تميزه عن الآخر . وفى كل المجتمعات يشمل هذا الكيـان عاملا اساسيا فى التنشيط النفسى والأخلاقى وهو عامل الإيمان . هذا العامل إذا اهتز أو ضعف اهتز الكيان كله وتعرض المجتمع للانحلال وفشت فيه العيوب المميتة وأهمهـا تصدر السفاسطة وضعفاء الفكر والرأى الصفوف فى العـــلم والادارة وكل نواحى الحياة وينتشر النفـــاق والرياء والقلق

والغش والخداع والمحسوبية والمحاباة والرشوة فيعيش المجتمع في جحيم حقيقي وفي ضياع ممل لامفرمنه الا إلى ضياع الدولة واستعباد المجتمع . لذلك كان عامل الايمان من أهم العوامل في المجتمعات الواعية المتنازعة على البقاء والوجود الجادة في ذلك.

وبعض المجتمعات بني وجودها وقامت دولتها وسلطاتها على العامل الديني . ولذلك كان من الخطر على هذه المجتمعات أن تحاول التخلص من هذا العامل لأن معنى ذلك القضاء على كيانها الأخلاقي والنفسي وسحب الأرض الصلبة التي تسير عليها من تحتها فتقع في الهاوية والضياع . وبما أنه ليس من السهل ايجاد منشط عميق الأثر يحل محل العامل الديني الذي رسخت جذوره في أعماق نفوسها فستظل هذه المجتمعات تعيش في متاهات ومآس لاحد لها . اذا حاولت ذبذبة هذا العامل وهنا يجب أن نفرق بين العامل الديني وعامل الايمان . فمن المجتمعات مايكون العامل الديني فيها لا يمثل عنصر أساسيا فيها بل هو عامل نقوض في نفوسها وقضت عليه المآسي والمظالم التي ارتكبت باسمه فانهار هذا العامل الديني وبقي عامل الايمان

بمبادىء معينه التزمت بها هذه المجتمعات .

الأخلاق والتنازع على البقاء

ينشأ من تكامل الاخلاق وتفاعلها النشاط النفسى والعقلى والحيوية الدافعه المتدفقة ويكون نتيجة ذلك قوة الارادة . وقوة الارادة هى الجسر الذى يسير عليه المجتمع إلى مستقبله ثابتا واثقا من نفسه مطمئنا وبذلك يحافظ على بقائه فى زحمة التنافس الرهيب ويصل إلى شاطىء الأمان .

الأخلاق والحضارة

يقول المسيو جوستاف دى لوبون أن الأمـــة البدائية الجديدة الحيوية والمواهب أى التى لم تستهلك المدنية مواهبها وحيويتهـــا تقفز على الامم التى استهلكتها المدنية والحضارة وتستولى عليهـا ثم لا تلبث هذه الأمة أن تتآكل حيويتهـــا ومواهبها بفعل المدنية وغرورها ورفاهيتهـــا إلى ان تضعف وتصير كسابقتها . إذن الحضارة لها تأثير عكسى على الأخلاق فـكلما تقدمت الحضارة كلما تأخرت الأخلاق حتى اذا ضاعت الأخلاق تقوضت الامة التى حملت الحضارة على عاتقها ويمثل

هذا المبدأ قول الشاعر :

(انما الأمم الأخلاق مابقيت فان همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا)

اذن الأخلاق هى التى تصون الأمة من الضياع وليست الحضارة المبنية على تقدم العلم والفن بدون الأخلاق . وهى أيضا التى تصون الحضارة اذا جعلتها ضمن أسسها . فالويل للانسان الذى يهاجم الأخلاق لأنه يهاجم مايصون سعادته وسعادة مجتمعه .

الأخلاق والتطور

كلما تقدمت الحياة فى العلم والأدب والفن وباقى النواحى كلما تغيرت الظروف واحتاج الانسان ليساير هـــذا التغير إلى تنشيط صفات خاملة أو انماء صفـــات نشطة . فاذا عجز أى فرد أو مجتمع عن ذلك حجزته أمواج التقـــدم وأهلكته . والواقع أن أكبر مسئولية فى هذا تقع على أكتاف الأديب والفنان والشاعر أكثر من العلماء . لأن الأدب والفن والشعر يمتلك نواصى النفوس ويمكن أن يصل إلى أعماقها . وهو بهذه القوة يمكن تحريك وتنشيط هذه الصفات لتتابع التطور . لأن الأدب ومايشبهه قوة حقيقية فى المجتمع لايصح ان تعمل

لنفسها . فالأدب للأدب والفن للفن مبدأ يمكن قبوله فى المجتمعات التى بلغت القمة . أما المجتمعات الصاعدة أو التى مازالت فى الحضيض فيجب أن تستغل كل ما عندها من امكانيات وقوى حتى لا تداس بأقدام النازلين .

وقد كتبت كلمة فى هذا المعنى بمناسبة معينة هذا نصها : ـ

لا بد من تحويل الغاية إلى عقيدة

نحن نسير على طريق طويل شاق يحيط الأعداء من كل جانب وامكانياتنا أقل من امكانياتهم . ولكننا لا بد أن نسير على هذا الطريق اذا أردنا المحافظة على وجودنا الذى يريد الأعداء محوه وازالته ليقضوا على تاريخنا وثقافتنا وعقائدنا .

والسير على هذا الطريق تجربة مريرة فيها مآس وآلام . ولكن الآلام هى التى تبلور شخصيتنا وتقوى احتمالنا وتحيى فينا المثل العليا التى تنير لنا الطريق وتحفظنا من الانحراف وتفجر فينا قوى نفسية هائلة تخيف الاعداء وتبعثنا على العمل والابداع .

اننا نقلد الأمم المنحلة التى بلغت القمة وبدأت فى النزول

والتدهور . نحن نقلدها فى أخلاقها وعاداتهـــا مع اننا لم نصعد بعد . والعجب أن وسائل الاعلام عندنا بما فى بعض براجها من ميوعة وتخنث تساعد على هـذا التناقض الذى يعوق المثل العليـا ويضعف العقيـدة فتتعطل بذلك كل القـــوى النفسية والأخلاقية اللازمـة للعمل والدافعة إليه . لا يمـكن أن تـكون التجربة درسا والألم أستاذا إلا اذا كنـا أصحاب مبـــادىء وعقيدة ومثل عاليا وأنا لا اغالى اذا قلت بأننـا اذا عجزنا عن احياء المثل العليا فى أنفسنا فسنعطل الصفات النفسية والعقلية اللازمة للعمل والطموح الذى هو أكبر دافع للعمل .

اننا اذا لم نتمكن من تحويل الغاية إلى عقيدة تمـلأ نفوسنا واذا لم نفجر من هذه الغاية مثلا عليا تثير نفوسنا وتدفعنا إلى العمل فستنشر السلبيـة التى لم تـكن صفة أساسية فى النفس ولـكنها نتيجة للضعف النفسى والتسامح الاجـــتماعى فى النظم والرقابة ووسائل الاعلام التى يجب تنظيمها تنظيما علميا وفكريا واديبا يتوافق مع الغاية ويهدى إليها حتى لا يظهر أثر السلبية فى العلم والعمل وفى الـكفاح والنضال فيهبط المجتمع ويصبح كالطائر

المهيض الجناح .

الوراثة والأخلاق

النفس الانسانية تحمل كل عناصرها ولكن الوراثة قد تقدم لنا صفات ضعيفة نحن فى حاجة إليها وصفات نشطة وما علينا إلى أن نجند كل الامكانيات والقوى التى نملكها من ادب وفن وعلم لانماء وتنشيط هذة الصفات . ومن العبث المخجل أن يملك المجتمع قوى علمية وأدبية بالاضافة إلى القوى الأخرى ثم لا يستغلها لصالحه . الواقع أن التاريخ يدلنا على أن الأمم المغرورة فقدت وجودها وهى فى أوج عظمتها من العلم والفن لأنها اتخذت هذه القوى العظيمة وسيلة من وسائل التظاهر والغرور .

الأخلاق بطولة (الاخلاق من الناحية العامة)

بعد ذلك نريد أن نبين بطولة الاخلاق هذه البطولة التى مازال الناس يتجاهلونها إلى الآن لأنها ليست بارزة لهم . وأصبحوا يمجدون بطولات عدة منها مايستحق التمجيد وفيها ما لا يستحق. وهم فى كل هذا التمجيد مغالون فى شعورهم واهمون فى تقديرهم

البعيد عن الحد اللازم له .

ومن هذه البطولات التى نالت حظا عظيما عند النـــاس هى بطولة الحرب لأن فيهـا تستخدم النفس ميولهـا الحيوانية التى كثيرا ماظمئت النفس إلى اظهارها .

اذن فلنقارن بين هذه البطولة وبين بطـولة الأخلاق . أو فلنبين مزايا بطولة الأخلاق وفضلها على هـــذه البطولة التى أخذت مكانا عاليا بين الناس واستخدموها فى غير موضعها .

يجب أن تعلم أولا ان الأخلاق هى نتيجة جهـــاد باطنى مضى وثمرة آلام طويلة وغنيمة نضال دائم بين الانسان ونفسه وميوله الفاسدة . وناهيكم بذلك من قتال فهو أشد وطأة وألمـا من كل قتـال لأن مرارته لاتنقطع ومحيطه ليس له غاية ولا نهاية . والعـــدو فى هـذا النضال عدد عنيد لايترك لك فرصة الا وانتهزها عليك وما أكثر هـــذه الفرص . وهو خبيث ملازم لك والعجيب أنه معك وفى أعماقك . الا وهو الأهواء والميول التى تبعد الانسان عن منزلته ومكانته الرفيعة.

وليس الدافع إلى هذا النضال جنون وغفلة وتهورشهوة

وطبيعة وهوى وحب سيادة وسمعة ومادة ممايهون آلام الحروب ويخفف مؤنتها وانما هو اكراه وفطام ونضال يوقف النفس ويحرفها ويضيثها وينهكها حتى تطول التجربة فتخف الوطأة .

والضنى ضنى النفس لاضنى الجسم . أذا أن ضنى الجسم لا تشعر به الا اذا وصل إليها واكرهت عليه . وأريد بذلك أن الحرب مهما علت غايتها وارتقت منزلتها فهى شهوة ان لم يرج منها الغنيمة ينتظر منها السيادة والشهرة . ومادام الأمر كذلك فآلامها لاتتجاوز البدن إلا إلى أطراف النفس ولا تنفذ إلى صميمها لأنها غير مكرهة عليها كاكراهها على الأخلاق . ولونفذت آلام الحرب إلى النفس لنقل المؤونة غير المنتظرة فأنها تزول بزوال الحرب وتنتهى بانتهائها . بخلاف نضال النفس . فالنفس مكرهة عليه ولاتثق بنتيجة وعاقبته . ويدفعها إليه غرور أو تحمس أو ما يزيد فى جرأتها واقدامها . ثم ان آلام هذا النضاللم تكن فى جزء بعيد عن النفس ولكنها فيها وفى صميمها . وهى بعد ذلك ملازمة لهذا

والنفس مكرهة عليها ولا تنتظر منها ما تنظره فى غيرها من المادة ولذة الغنيمة والظفر وبهر السمعة .

فإذن أى انسان بعد هذا يمكن أن يتجاهل هذه البطولة العالية الرفيعة ويعرض عن تمجيد أبطالهـــا . ألا ان أعظم البطولات لهو ولعب اذا لم تبن على اساس بطولة الأخلاق . وإذا كانت بطولة الحرب فضيلة فى بعض الأحوال فذلك لأنها مبنية على دواعى الحق والأخـــلاق والا انهارت فضيلتها وصارت جبنا وغباوة .

لأن الانسان الذى يتنازل عن منزلته راضيا لميوله الحيوانية فهو لا شك غبى لا يستحق أى تقدير .

ومع أن نضال النفس ليس فيه غـــرم أو خسارة ولا كلفة ولا أهمية الا صبر واحتمال يزيد فى المروءة وعزم وحزم يزيد فى الهمة فضلا عن حظ جزيل وسعادة هائلة فان النفس هيابة فيه نافرة عنه رائعة مراوغة فى الدخـــول إلى حوبته والتشرف إلى ميدانه فما أردأ هذه النفس التى ضنت بكثير أو قليل من الصبر والاحتمال فى سبيل أغلى الغيات مما تصرفه فى

بلايا الشرور والآثام مع الفرق الكبير والبون البعيد .

اذ أن ما تتحمله النفس من المكارة فى سبيل الشرور لاتنال منه إلا حسرة وندامة وخيبة ومهانة مع خسران شرف صاربه الانسان انسانا . والعجب ليت الشرير ينجو من نفسه التى اوقعته وتبعها فلا يقع فى شر ملامها وحرج ضميره مما يخل الشعور ويورث الهموم هموم الذل لاهموم عالى الهمم الذى يشعر بالعزة والفخار .

ومن يدرى فربما انتهى به الامر إلى الفناء والانتحار .

اما ما تتحمله النفس فى سبيل مجاهدة الارادة وصقلها والرجوع إلى حريتها وكمالها مهما عظم وثقل فهو قليل بجانب ما فيه من الغنم المادى والأدبى . اما الغنم الأدبى فكفى النفس ما نالته من الحرية والتحرر من أهوائها وأحكام مجتمعها فضلا عن الشرف والمكارم التى ستنالها وقوة الارادة التى تقودها والعظمة والمكانة الكبيرة والجلال والوقار والطمأنينة التى تعم الضمير والهدوء الذى يشمل الوجدان فيصفو الذهن ويزداد انتباهه لحقائق الأمور . فلا تفتنه الدنايا ولاتغره الغوانى

الساقطات فيكون عادلا فى عمله عادلا فى معاملاته عادلا فى اسرته وبذلك تنتشر السعادة والطمأنينة والاستقرار فتوفر الكثير من المجهود والفكر لخدمة المجتمع .

وهذا غنم للفرد والمجتمع من غير غرم ونوال من غير ابتذال . وهو مع ذلك لا يغنى مجدا وذكرا آخرة ودنيا .

الهجوم على الأخلاق

كان من نتائج المادية فى أوروبا أن أهملت الأخلاق أو أهمل الارتقاء النفسى فنشأت من ذلك حروب رهيبة منها الحرب السبعينية بين الفرنسيين والألمان ومنها الحرب الأولى العالمية والحرب الثانية. ولقد تخللت هذه الحروب قسوة مخيفة أضعفت الثقة العامة فى الإنسانية وحضارتها ونشأت من هذه المآسى المؤلمة آراء وأفكار تحارب النظام والسلطة وتدعو إلى الفوضوية وكذلك كانت هناك دعوة فكرية إلى القضاء على الصفات الأخلاقية كالشجاعة والكرامة وغير ذلك من صفات الفروسية فى القرون الوسطى كما يدعون ذلك لأنهم ظنوا أن هذه الصفات هى سبب المآسى والآلام الى ذاقوها فهاجموا هذه الصفات مهاجمة عنيفة

ودعا بعض كبار مفكريهم إلى الشذوذ الجنسى والزواج غير المشروع بين الطلبة والطالبات فى الجامعات بدون نسل كما انتشرت بسبب هذه الدعوة الخنافس والهيبز . وهم يمثلون قمة الانحلال والاباحية ولقد ساعدت هذه الآراء على زيادة سفك الدماء وهتك الأعراض وزيادة المآسى والضياع بدلا من القضاء على ذلك .

لأننا اذا حاربنا فضيلة فان يحل محلها رذيلة تزيد فى المأساه ولذلك يجب أن نكون حذرين من الفكر الأوروبى الحديث ومن الاتجاه الفنى والأدبى لأنه فى الغالب ناشىء من هذا الاتجاه المعادى للفضيلة والأخلاق ولنشر الانحلال والضعف .

ـ من هذا نتبين أن اصلاح الاخلاق اساس كل اصلاح ـ

الأخلاق فى الواقع بعيدة المعنى غير محدودة المظاهر والمستويات . واذا تأمل الانسان فى نفسه يشعر بنزعات متباينة ورغبات مختلفة . النزعات هى مايسميه بعض الفلاسفة بالملكات الأخلاقية . فالملكات الأخلاقية عندهؤلاء الفلاسفة هى قوى نفسية تدفع الانسان بحسب المناسبات إلى الأعمال

المختلفة التى نعملها والتى تقع تحت أعيننا باستمرار . ولا يمكن ان يوجد عمل من الأعمال من غير أن يكون له دوافع نفسانية سواء كان هذا العمل سيئا أو صالحا. وعلى ذلك تنقسم الدوافع أو هذه الملكات كما يسمونهـا إلى قسمين :قسم يدعى فضيلة وهو ما يدفع الانسان إلى الخير بدون اكراه وهـو ماينفع الفرد والمجتمع وقسم آخر يدعى رذيلة وهو ما يدفع الانسان إلى الشر وهو مايصيب الفـرد والمجتمع بالضرر اذاكان هنـاك تعمد . والتعمد هنا معناه انه لايجـاهد نفسه وقت احساسه بالدافع الذى سيدفعه إلى هذا العمل الذى يعلمه بأنه مضر به أو بمن حوله من الناس أو الحيوانات على حد سواء قبل أن يقوى هذا الدافع فى نفسه ويسيطر على جميع حواسه . فمادام لايجاهد نفسه فى هذه الحالة فقد صـار متعمدا .

فى الواقع تقسيم الأخلاق إلى فضيله ورذيلة لم يكن حقيقة واقعة كما ظن بعض الفلاسفة . ان اختلاف الاعمال وأثرها فى الحياة دفع هؤلاء الفلاسفة إلى هذا التقسيم . ولكن الحقيقة أن مشاعر الانسان وحدة واحدة وأن نفسه عنصر واحـد

لا يقبل التقسيم .

ان الفضيلة والرذيلة تفاعل نفسى واحد تكيفه الظروف والنظم الاجتماعية العامة . فقد يكون العمل شجاعة فى وقت ما وقد يكون نفس العمل حمقا ونزقا فى وقت آخر. فالتفاعل واحد ولكن صفة العمل تختلف .

اذن الفضيلة والرذيلة هى حسن أو سوء التصرف فى العنصر النفسى وحسن توجيهه والسيطرة على تفاعله وتنشيط الصفات فى الأوقات المناسبة فمثلا الطبيعة الجنسية قد توجه إلى الحلال وقد توجه إلى الحرام وكذلك طبيعة الجوع فقد ترفع النفس إلى أعلى المستويات وقد تنزل بالنفس إلى الحضيض . وكذلك الحب فقد يكون فضيلة وقد يكون رذيلة وهكذا .

لذلك اذا أردنا الاصلاح فيجب أن نتوجه إلى مصادر أعمالنا وهى عنصرنا النفسى السريع التفاعل والانفعال فنسيطر على تفاعله وحساسيته لتنشيطها وقت اللزوم . وان الذى فعلته بعض الأمم التى سادت فى زمن قصير لهو أحسن مثل فى ذلك. فقد أخذت مجتمعها بحزم وقوة على تعاليم قوية متينه تبعد عن

النفس التخنث والميوعة وتشعرها بوجودها الانسانى وحب العزة والكرامة والتضحية فى سبيل الصالح العام وأن حياة الفرد أقل مايقدم فى سبيل حياة المجتمع . هذا ما يصل إليه الانسان عند أقل تفكير . ولكن يا للأسف : ترى مفكرين وقادة رأى فى الأمة يتناقشون فى أمور لا تتصل بالاخلاق فى شىء من ذلك مناقشتهم فى هل الطربوش أفضل ام القبعة أو العمامة. وهل التستر أو التفرنج . ماذا يهمنا القبعة أو العمامة أو التستر أو التفرنج اذا كانت الأخلاق فاسدة . فلنغير المظاهر كما شئنا فهذا لا يفيدنا بل ربما زادنا ذلك ضعفا وانحلالا وغرورا وتسترا أو راد هذه المظاهر . والمظاهر لاتوصلنا أبدا إلى مستوى من نقلدهم ولا يمكننا أبدا أن ننقل إلى نفوسنا ما يتصف به غيرنا وانما الذى يجب ان يكون هو أن ننمى صفاتنا لتكون اساسا لمظاهرنا وثقافتنا وعلومنا وآدابنا ومستوانا. ولو حاولنا نقل صفات غيرنا إلينا بتقليدهم فستضعف صفاتنا وسنعيش فى تقليد دائم وفراغ لا ينتهى وسيستكثر علينا العدو الارض التى نعيش عليها والوجود الذى نتمتع به . وربما كان تغيير المظاهر

ضروريا ولكن يجب ألا يتناقص مع صفاتنا الاخلاقية ويجب لا يؤثر على كياننا النفسى حتى لا يهتز فتضعف حيويتنا ويقف انقدمنا .

مزايا الأخلاق وأثرها فى المجتمع والأفراد

بالاضافه إلى ماتقدم نقول ان أثر الأخــــلاق فوق كل وصف اذا انها رباط المجتمع الانسانى الوثيق وأثرهـا يشمل الفرد والأسرة والجماعة والأمم المختلفة وعليها يقوم التعـامل الذى لامفر منه اذا اراد الانسان سعادته وبقاءه ونماءه .

ولما كانت الأسرة تتكون من الفرد والجماعة تتكون من الأسرة والجماعة هى كتلة أفراد متماسكة المصالح والمنافع فكل فائدة ينالها الفرد تنتقل إلى الأسرة بحكم اتصالة بهـا وتكوينه لها ثم تتصل بالجماعة بطريق التبادل والتعامل ومنها إلى الجماعات ثم تعود ثانيه إلى الفرد بواسطة رحى العمل والتعامل .

فاذا علمنا ذلك أمكننا تقدير اية ميزة ينالها الفرد من الأخلاق لعلمنا أنها ستدور على المجتمع وطوائفه المختلفه كما يمكننا تقدير مزاياها فى المجتمع لعلمنا أنها سترجع إلى الفرد والأسرة.

مزايا بعض الصفات الأخلاقية على سبيل المثال

من عظيم هذه المزايا التى تتصل بالأسرة والمجتمع والتى ينالها الفرد :

الطمأنينة وراحة الضمير . وقد ينشأ من راحة الضمير صفات كثيرة كالثقة بالنفس والثبات والقوة والتعاون وغير ذلك . وبهذه الصفات يقوى الفرد على النضال فى الحياة وتقوى ثقته بها فيكون حركة عاملة تزيد فى حركات المجتمع إذا كان أكثره من أمثاله . وبذلك يزداد اتصال مصالح الأفراد ومنفعتهم فيثبت التعاون والاتحاد وتزداد الرابطة الإجتماعية وأثرها أكبر الأثر فى تعميم الخير وانتشاره . وبالطمأنينة تزداد ثقة الفرد بنفسه فيقوى على استثمار أمواله وتثميرها فتتشعب الموارد. وبذلك يكثر دخل الدولة عموما فتنهض الحكومات بالتعليم والتربية فتنشط الأخلاق وينشط المجتمع وتزداد حيويته وتتقدم أساليبه فى الحياة . كما يعنى بالصحة فتقوى الأبدان والعقول فضلا عن الحيوية التى تعم الأمة وتزيد فى نشاطها .

وإذا زاد دخل الفرد مع ماناله من الأخلاق أمكنه القيام

بتربية أفراد أسرة كما أمكنه تعليمهم فينشأ أفراد الأمة فى أسر راقية متعلمة كما يستفيد التعليم وأهله من ذلك ويمكن لرجاله الظهور بما يليق بهم من المنزلة والمكانة هـذا إلى إرتفاع مستواهم المادى والأدبى .

وبذلك تدور المنفعة وتتدرج من فرد الى فرد ومن طائفة الى طائفة ، فمن تاجر الى فلاح وتاجر الى تاجر وصانع الى تاجر وتاجر الى صانع ومن فلاح الى تاجر وصانع الى صانع الى آخره وهكذا . ومن هؤلاء جميعا الى التعليم ورجاله فينهض التعليم ويصبح العلم قوة ايجابية تفيد المجتمع فى معترك الحياة فى السلم وفى الحرب فتجد الأمة من أفرادها جيشاً قوياً منظماً مثقفاً يكون خير قوة لها وخير حامى لزمارها ودافع عن حياتها مما يزيدها طمأنينة . وهناء . كما تجد من أموالها مايساعدها على تغذيته وإمداده بالمؤونة والسلاح. (يكون العلم فى خدمة الحرب) وتجد الأمة من أفرادها رجالا عظماء ينظمون أمورها ويبطرون حزمها وينهضون بشئونها فترث سيادة ومجدا وخلودا وذكرا وبالأخلاق يظهر القواد العظام الذين تحلم بهم الأمم الغالبة والمغلوبة على السواء .

وبها يظهر رجال الفكر والعمل والرأى فتتدرج الأمة من كمال إلى كمال إلى ماشاء الله للأخلاق أن تبقى فيها ولزيادة الايضاح نبين الاثر الضار لبعض ما نسميه برزيلة .

فمن ذلك الخمور والزنا والميسر . لو تأملنا إلى هذه الجرائيم الثلاث لم يصعب علينا الوصول إلى بلاياها المشهورة ومساوئها المعلومة ولم يصعب علينا تقدير هذه المساوىء .

وكيف يصعب علينا ذلك وهى المنتشرة بيننا إنتشار العادة والتقاليد ، وفهمها الكثيرون وكشفوا أمراضها المزمنة وضحاياها العديدة ؛ لكننا نرجو أن نبين أثرها عموماً هذا الأثر الذى كان يغنينا عنه وعن غيره الأخلاق .

فمن هذا الأثر أنها تنتقل الأموال من أيدى مستحقيها ومن هم ركن المجتمع إلى جرثومة فاتكة قاتلة فيجد الناس فى مراتع هذه الجرثومة التى هى مراتع الفسق والفجور مرتعاً خصبا وموردا سهلا فيرتعون فيه ويكثر أتباعهم وأذنابهم وتقوى شوكتهم فتكثر الأمراض ويضعف الأفراد وتنحط الأفكار وتنتشر الاضرار والفقر ويهمل التعليم فتقل موارد

الدولة مع زيادة مسئوليتها لاختلال الأمن وانتشار الاضطراب فإذا لم تتلاف هذه الأمور اتسعت الثغر وانتهز الفرص عدو محنق أو صديق مترصد أو محروم يزيد تذوق المجد والسيادة ولاعجب فى ذلك فالفرد إذا إنتقلت الثروة من يده إلى هذه البيئة الموبوءة قل دخله كما ضعف جسمه وعقله وقل نشاطه فحينئذ لا يمكنه القيام على تربية أفراد أسرته ولا يجد ما يكفى تعليمهم فيشمل الأسرة الأهمال والجهل والضعف والإنحلال فينشأ أفراد الأمة فى بيئة قذرة جاهلة وربما ورثوا أمراض آبائهم التى هى ثمرة هذا الإنحلال وهديته الخالدة فى المجتمع (وهذا ماقاله المسيو جوست فى دى لوبون فى كتابة « سر تطور الأمم » حيث أوضح العدد الكبير المشوش الخلق والعقل من الأطفال الشرعيين وغير الشرعيين من أثر انتشار شرب الخمر فى الأسر الفرنسية ومن أثر التناسل غير الشرعى)

أن الأسرة المنكوبة متصلة بأفراد وطوائف عديدة من مدرس وتاجر وصانع وغير ذلك. فإذا نكبت قلت منافع هؤلاء الأفراد منها وبالتالى قلت مواردهم. فإذا تتالت النكبات

على أسر عديدة نسكب هؤلاء الافراد بجانبها بقليل و كثير فيعم القلق و تضعف الثقة و تتفكك الرابطة و يقل التعـــاون والتعامل و فى هذا ما فيه من التحلل والضياع وانتشار الرشـوة والمحسوبية والمحـــاباه وسفك الدماء وهتك الاعراض . والمساومة على الحقوق .

الرشوة والمحسوبية : من أخطر العيوب الاجتماعيـــة واشدها اضرارا بالمجتمع فالرشوة والمحسوبية هى التى تعطل المواهب وتؤخر الكفاءات و ترفع التافه إلى أعلا المستويات وتخفض النافع إلى الحضيض فتعســـر الادارات و تنقلب الاوضاع ويصبح الكبير صغيرا والحقير كبـــيرا فتضطرب الامور وتضيع الحقوق وتنتشر العقد النفسية ويزيد الحقد والتزمر فيضيع العلم وينتشر الجهل وتتجمد النفـوس ويقف النشاط النفسى والعقلى فتنحط الآراء ويضيع الصواب ويعيش المجتمع فى خداع المظاهر والغرور ويصبح مرتعا خصبا للفتن والاحن والتربص والضياع . ولقـد قال لى مرة احـــد المسئولين (إيه يعنى الرشوة فهى منتشرة فى كل العالم) فأجبته

بأن انتشار الخطر لا يمنع ضرره كما أن انتشار النار لا يمنع اذاها . وان من أهم مايشعر به الانسان ازاء الرشوة والمحسوبية فقدان الافراد احترامهم لذ لتهم ومجتمعهم فتتفكك الرابطة ويهتز الكيان الاجتماعى ويقضى عليه ويصبح مجالا لتنافس الاعداء وتنافس الآراء الهدامة والمذاهب المختلفة ويتبلد شعوره فلا يستجيب إلى مصلح أو ناصح أو غيور مخلص هذا بالاضافة إلى الكسب الحرام من ناحية الآخذ وحرمان المحروم من ناحية المعطى اذا كان فقيرا أو محتاجا . والرشوة أيضا تضعف الثقة فى التعليم وتدعو إلى إهماله من جهة الافراد ما دام الأمر موكولا إلى المال والحظ دون العمل ومن جهة الحكومة لحشو رجالها وكثرة جهالها فتضعف آلتها ويسرى فيها الشلل كسريانه فى الجسم تماما كما أنه يستهان بالنبوغ ويقل التحصيل فتركد الافكار وتختل الأمور . وربما اتجه أصحاب الفكر إلى مالا يخدم المجتمع بل إلى الاضرار به وخدمة غيره حقدا عليه وتشفيا منه . وبالرشا يضعف أفراد الجيش وقواده وتقل ثقافتهم كما يهمل فيه أصحاب العظمة

النفسية والخلقية فيزداد الحنق والحسد بين افراده كما يزداد بين الأمة . وخير مثل على ذلك العهد الذى أدى إلى الثورة العرابية وفشلها .

وأذا وجد الحسد وجدت الأثرة واختل التعاون وذهبت الشفقة والرحمة من قلوب الأغنياء فينظر الفقير إلى ثروتهم ويدب فيه التمرد عليهم فتكثر الآراء وتتشعب المذاهب . وتنتشر الأمور فوضى لا جامع لها ولا حازم .

كل هذه الأمور تبين لنا مزايا الأخلاق وضرورتها . وانى اترك لكم الأخبار والعبر التى تطالعونها وتنظرونها وتسمعونها يوميا فى الجرائد وفى الواقع مما يذيب النفس ويؤرق الوجدان . إن احتقار الأخلاق يفشى الجهل ويؤدى إلى احتقار العلم فيضطر أصحاب الآراء والفكر فى الأمة إلى الاتجاه لأمم غيرهم يفيدونها ويستفيدون منها وربما تسيدت هذه الأمم بآراء هؤلاء اللاجئين على أممهم التى جاءوا منها .

الغـــرور : شعور يجمل لنا القبيح ويستر عن بصيرتنا الحقيقة فعندما نسير إلى الخلف يهيء لنا الغرور بأننا نسير إلى الأمام وإذا نزلنا إلى الحضيض يهيء لنا بأننا صعدنا إلى القمة. يجعلنا نعيش فى الخيال . فاذا رقصت راقصة أمامنا ظننـا أننـا فتحنا البلاد ودوخنا العباد ووصلنا إلى أعلى الذرى فى الحضارة والقوة وإذا غنى المطرب ضحكنـــا على أنفسنا وظننا أنفسنا جديرة بالمجد والعظمة حتى إذا صدمتنا الحقيقـة رأينا الخيـال جرنا إلى الوبال ورأينا ما كنا نظنه نورا صار ظلمة وما كنـا نظنه عمارا صار خرابا .

الأخـــلاق والتقليد

لكل مجتمع كيان أخلاقى وعقلى خاص يتكون منه صفاته وينشأ عنه تقاليده وعاداته وينبع منه فنـــه وأدبه وثقافته وتجاربه . ولكل مجتمع ماضى يعتمد على هذا الكيان . فاذا انفصل جيل ما عن الماضى فمعنى ذلك أنه ألغى مرحلة طويلة من مراحله وخسر ما فى هذه المرحلة من تجارب وخـــبرات لا يمكنه تعويضها فاذا جاء جيل آخر وألغى مرحلة الجيـــل

السابقة فعنى ذلك أن كل جيل يبدأ من نقطة ولا ينتهى إلى شىء حتى يجىء الجيل الآخر ليلغيه فيصبح المجتمع بذلك قليل التجربة ضعيف الصفات لا تتبلور شخصيته وتضعف ثقته فى نفسه ويصبح تكوينه مفككا . فإذا انفصل المجتمع عن الماضى بدأ يقلد غيره من المجتمعات وبما أن عادات الغير ومظاهره بدون وعى وإدراك تصارع صفاته الأخلاقية وتصيبها بالخمول فتضعف حيويته ويقل نشاطه النفسى والعقلى. فبدلا من أن يستفيد من تجارب الآخرين ومظاهرهم على صفاته هو وتجاربه فيخسر هذا وذاك ويشعر بالضياع والحيرة فالتقليد داء يقضى على النشاط الفكرى والنفسى ويجمد المجتمع ويجعله ذيلا لغيره من المجتمعات وسخرية لها فضلا عما يجلبه من المشاكل فى كل نواحى الحياة ولا سيما فى الأسرة مما يؤدى إلى تحللها وضعفها .

الأخلاق والاسلام

مما يزيد قيمة الأخلاق أن نزلت لأجلها الكتب والاديان وقاست فى سبيلها الرسل الأمجاد من المكروه والأهوال ما

نقدره ومالا نقدره وبها ولهـــا تسيد السيد وترأس الرئيس وعليها قامت الحكومات ولحرمتها وضعت القوانين . ولقد قال النبي صلى الله عليه وسلم (بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)

إن الأخلاق هى مجاهدة النفس والإرادة . فلا بد أن تقوم هذه المجاهدة على تعاليم صحيحة كاملة لها تأثـــير على النفوس لتستقيم الإرادة وتتولد فى النفس ميول شريفة تعينه على المثابرة فى هذا السبيل . لآن لم توضع قـــوانين وضعية تصل إلى هذا المستوى لأن العقل الإنسانى مازال يعانى من العجز والقصور ما نرى أثره الآن من المشاكل الكثيرة . إذن لابد لنا إذا أردنا أن نصل الى هذه التعالم أن نعترف بوجود الله . هذه الحقيقة الخالدة التى لا غنى للانسان عنها اذا أراد الاستقرار والاصلاح ولا بد أن نعترف بالاديان وتعاليمها بدون تغيير أو تبديل . وبدون تعصب يبعدنا عن حقيقتها أى أعترافنا بالتعاليم الدينة يجب أن يكون منشطا لصفاتنا الأخلاقية وموجها حسنا لها . وفى الواقع ان التعاليم الدينية اذ أحسنا استعمالها وتطبيقها أفادت المجتمع الإنسانى كثيرا لأنها

أقصى ما يصل اليه العقل اذا كان كاملا تاما . وكلما نفر العقل من هذه التعاليم كان ذلك دليلا على بعده من الحقيقة وعلى عجزه وقصوره وبالتالى على شدة احتياج الإنسان الى هـــذه التعاليم . لذلك كانت تظهر الرسل فى وقت النفور من التعـاليم السليمة لأن هذا التفور يدل على فساد العقـل وبعده عن الـكمال . فوقت هذا الفساد هو أشد الأوقات حرجا للانسانية ففيه تتطلب النفوس النجاه كما تتطلبه من موت رهيب .

والأديان لا تدانيها تعاليم مهما بلغت وأثرها لا يدانيه أثر على التعليم والتهذيب وأرقاه . وليست الأديان تقييد وتصفيد بل هى قوانين بلغت من الـكمال مالا يبلغه غيرها ولها من النفوذ على النفوس ماليس لغيرها .

والاسلام هو آخر ما وصلنا من هذه الاديـان . ولقد تمكن الاسلام من تفجير القوى الكامنة فى نفوس قوم لولا الإسلام لظلوا تائهين فى الصحراء منعزلين عن العالم المتمدين لا شأن لهم به فقامت على اكتافهم دولة من أعظم دول العالم ولو بقوا على هذه التعـاليم لاستمرت هذه الدولة . ولـكن

داخلهم الغرور فضعفت الأخلاق فانهارت الدولة . وقد خرج الاسلام من هؤلاء القوم بدون مدارس وجامعات رجالا حكاما لهذه الدولة الكبيرة كانوا أرقى مثلا وأحسن قدوة للانسان الحاكم والمحكوم على السواء . ولقد بلغ من مثاليتهم أن أنكر تاريخهم بعض الغربيين لم يصدقوا وجود مثل هذه المثالية خصوصا فى أمة لم ينتشر فيها العلم والمدنية بعد . ولقد بنى الإسلام على ثلاث عوامل هى من أهم وأقوى عوامل التنشيط .

١ — الإيمان بالله .

٢ — الترغيب .

٣ — الترهيب .

الايمان بالله : أهم عامل للتنشيط النفسى والارتقاء به حتى أنه ليخلق مستويات من الكمال العقلى والنفسى (الروحى) مالا يوجد عن طريق غيره وهذا العامل أساسى فى جميع الأديان . ولكن فى الاسلام جاء فى أطار الجدل والاقناع بأسهل وأجمل الأساليب وفى أطار لغوى معجز

يتضمن فى اعجازه معنى هذا الوجود . والاقتـــناع به أما الترغيب والترهيب فهما عاملان متكاملان لا غنى لأحدهما عن الآخر فى التهذيب . وان أقل تسامح فى أحدهما ليوجد ثغرة فى الأخلاق وليضعف بعض العناصر الحساسة فى النـفس فيؤدى إلى الإهتزاز النفسى الوخـــيم العواقب . ومن ذلك يتضح هدف حزم الإسلام فى ذلك .

فإن حكم الاسلام بقطع يد السارق ورجم الزانى مثـلا فذلك لحرصه على حماية المجتمع الانسانى من الاهـتزاز وإذا أوعد النمام وسيء الظن وما شابهها بالجحيم والعـذاب الشديد فذلك لحماية الرابطة الاجتماعية من التفكك . وإننـا لو تأملنا مدى ما يصيب الانسان من هـــذا التفكك من أمراض نفسية وعقلية وجسمانية ومن مآسى وتعقد نفسى ومشاكل لوجدنا ان ما يضعه الاسلام من عقاب يوازى ما فى هـــذه الأمور من مضار تشمل الانسانية كلها .

ولقد حصل فى بعض الدول الشيوعية ان استولى نـاظر ملجأ على رطل لبن يخص بعض الأطفال فحكمت عليه الدولة

بالإعدام وكان من حيثيات الحكم أن هذا الرطل يقلل الكمية اللازمة لغذاء هؤلاء الأطفال وبذلك يكون هذا الناظر جانيا على جيل بأكمله وسببا فى خلق أفراد ضعفاء . لذلك يستحق الاعدام . ومع ذلك لم يعترض أحد بل ارتاحت لهذا الحكم النفوس لانه أنقذ الدولة من انحراف لو انتشر لفقد النظام ميزته وفائدته وقوته وسلطانه .

إن الترهيب لا بد منه للمحافظة على الرابطة العامة التى هى أساس القوى الاجتماعية ولكن الترهيب وحده يضر المجتمع ضررا بالغا لاشاعة الخوف والارهاب والقلق والاستبداد بين صفوف المجتمع فتبطأ حركته وتضعف ثقتـــه بنفسه والترغيب وحده يصيب المجتمع بالغرور والتفكك فلا بد أن أن يكون الاثنان وحدة واحدة يسيران جنبا إلى جنب وهذا ماكان عليه الاسلام . فحينما يبشر الصالح ينـذر الطالح وحينما يعد المؤمن بالجنة ينذر الكافر بالنار وبالعذاب الالــيم وهكذا .

وإن ما فى القرآن من تعاليم الأخلاق وتفاصيلها ما يحتاج

إلى كتب . ولذلك نختم بالكلمة الآتية :

إن الانسانية والمدنية ما هى إلا الأخلاق وكل ما يصونها من احتشام وتستر تشريفا للانسان وحرصا على كرامته . فالستور ليس من بدعة الزمن ولا من جهالة الأيام . وإنما هو حرص على روح الانسانية وتقليل الوسائل إلى افسادها وفسادها . فكيف يكون اسطورة من الأساطير وبقية من جهالة الماضين .

ثم نسأل من يدعون ذلك ومن يتبعهم . هل كان أثر الأباحية إلا الفساد ؟ وهل الأباحية هى الانسانية ؟ إذا كانت الأباحية تحريرا للانسان فما هى فى الواقع إلا تحرير للفساد والأهواء .

واذا ادعوا المدنية فهل من المدنية تحرير الفرد لاستعباد المجموع . وهل من المدنية اراقة الدماء وهتك الأعراض واباحة الخمور والبغاء ؟ وهل من المدنية التخريب والتدمير باسم العلم لأجل سيادة بغير حق . وماذا يريد من التسيد من يبيح الخمور والبغاء وحرمة الأخلاق والانسانية ؟ .

ولا ننسى بعد ذلك أن الأخلاق هى التى تبنى نفوسنا بناء لا يدانيه سلطان ولا يمله جبروت .

الاخلاق والاصلاح

الانسان يتكون كيانه الداخلى من عنصرين . الفكر والوجدان . إن انفصال أحد العنصرين عن الآخر يؤدى إلى السلبية والضعف وانحطاط الفكر والوجدان ويكون أثر ذلك سيئاً على حياة المجتمع . إذن الاصلاح هو ربط أو إيجاد التوازن بين هذين العنصرين . إن أقل انفصال بينهما يؤدى إلى السلبية والانحراف . إن هذين العنصرين بمثابة قطبي سالب وموجب فى إحدى البطاريات فباتصال هذين القطبين تحدث الطاقة الكهربية . وكذلك بالفكر والوجدان تحدث الطاقة الروحية يحدث العمق الفكرى والرفعة الوجدانية ولكن ما هى البطارية التى تغذى القطبين الانسانيين ؟ هذه البطارية هى الايمان . والمصلح الذى يمكنه إنعاش هذا الايمان ويعرف الصفات التى يتكون منها كيان مجتمعه مع معرفة ما يتناسب من هذه الصفات مع التقدم المطلوب

وكذلك يعرف كيفية تنمية هذه الصفات مع انتعاش الايمان فانه يكون قد وصل الى قمة القيادة والاصلاح . وليسمح لى إخوانى القراء سرد قصة انجليزية تسمى (كرايتون) لأدلل بها على ضرورة مرونة المجتمع فى تطوير صفاته لتتلاءم مع متطلبات التقدم الحديث . كرايتون اسم رئيس الخدم لأحد اللوردات وكان ينحنى أمام اللورد ولا يتجرأ على الاقتراب منه خضوعاً ومذلة فى أحد الايام أراد هذا اللورد تمضية بعض الأيام فى الصحراء . ذهب هو وأسرته وكرايتون إلى الصحراء . (هنا تأمل ماذا حدث !) اللورد لم يتعود على هذه الحياة أى أن صفاته لا تتفق مع هذه الحياة وبذلك خمد تفكيره وضعف سلطانه وأصبح متحيراً فى حياته فاضطر إلى الاعتماد على كرايتون وأصبح هذا الخادم هو العقل المدبر لحياة اللورد الجديدة . فقد أصبح تفكيره ملائماً لهذه الحياة البسيطة . فهو الذى يأتى بالماء ويطهو الطعام ويبنى الكوخ . ولما أراد أن يضع السقف اضطر اللورد إلى الانحناء ليصعد على ظهره كرايتون ويثبت السقف . وأصبح اللورد شاعراً بالنقص وكرايتون شاعراً بالثقة .

وكان يجلس مع بنت اللورد وزوجته وكأنه هو اللورد واللورد هو الخـــادم . فلما رجعت الأسرة إلى مقرها وانقلب الوضع ثانياً وعادت إلى اللورد عظمته وإلى كرايتون ذاتـــه .

من هنا ترى أن الصفات اذا تجاوبت مع الظروف المطلوبة حصلت السيطرة والقوة ونرى أيضاً ان صفات الإنسان بعضها يقظ وبعضها خامل . وقد تكون متطلبات التقـــدم فى حاجة الى الصفات الخاملة لذلك يجب على المجتمع أن يكون مرنا وعلى المصلحين أن يكونوا على وعى وكفاءة لتنشيط هذه الصفات الخاملة ليتوامم المجتمع بصفاته وتفكيره ووجدانه مع متطلبات كل عصر وتطوره وبذلك يستمر بقاؤه وتدوم قوته . وكل ذلك كما قلنا يعتمد على إنعاش عنصر الايمان .

الأخلاق والكلمة

الكلمة ليست التردد الصوتى أو الذبذبة الهوائية ولكنها المضمون الذى يشمل الحقيقة كلها والخلق كله . ولذلك

حينما يذكر الله سبحانه وتعالى (مثلا) الم أو ما شاكل ذلك من الحروف فان معنى ذلك أن الكلمة هى إعجاز عظيم لأنها وعاء لأسرار لا حدود لها .

ولكن ما هى الكلمة بالنسبة للمجتمع ؟ هل هى الكلمة الأدبية أو الشعر أو الخطابة مثلا ؟ ! !

إن الكلمة الوجدانية سلاح ذو حدين قد تقطع من يقولها . ومن الخطأ أن ندعى بأنها مدفع أو سلاح خطير . ذلك لأن هذه الكلمة اذا أثارت الحماس والطموح ولم يكن هناك عمل أعد لاستغلال هذا الحماس فيه فانها تؤدى الى السلبية . ومن اثارة الحماس من جديد أو من الصعب التأثير على الوجدان مرة أخرى . واذا كنا نعتقـــد بأن أكثر الأمم كلاما هى أكثرها قوة لهان الامر وكنا نحن أولى بهذه القوة .

اذن ما معنى الكلمة ؟ لقد قلنا بأن الكلمة مضمون ومن أجل أن تكون كذلك يجب أن تدور دورة كاملة ومستمرة لا توقف فيهـــا ! !

ومعنى ذلك أن الأدب كلمة والعلم كلمة والتنفيذ كلمة

والابداع كلمة والتخطيط كلمة والحياة كلها كلمة . وكل ذلك مرتبط ببعضه ارتباطا وثيقا . فالكلمة الوجدانية اذا لم تتحول الى فكر والفكر الى علم وعمل وابداع على مدار المجتمع كله ويستمر مدار الكلمة هكذا فانها تصبح مجرد ذبذبة هوائية وضياع فكرى ووجدانى .

وإذا أردنا أن تستمر الكلمة فى دورتها الكاملة فيجب أن نزيل المعوقات المادية والنفسية .

وذلك بأن يجعل المستوى المادى يتناسب مع المستوى الفكرى والأدبى والعلمى وألا نرفع المستويات الضئيلة ماديا رفعا خياليا ونحط المستويات الرفيعة فتنفر هذه المستويات وتتجمد ويقل عطاؤها للمجتمع ويصبح المجتمع خاسرا لها وفاقدا لأعظم ما ينتجه من ثمار النبوغ والمواهب والعلم والفكر . ويصبح كل عماده على ضئيلى المستوى . وفى ذلك ما فيه من الجمود وعدم التقدم الايجابى الحقيقى .

الأخلاق والعمل

العمل هو النهاية التى يصل إليها الفرد والمجتمع بعد

الفكر والعلم . وهو الذى يوجد الخبرة ويزيد التجربة وينمى ما حصل عليه الفرد والجماعة من العمق الفكرى والوجدانى .

وللعمل أربع عناصر : -

١ — المجهود .

٢ — الفكر .

٣ — العلم .

٤ — الخبرة والتجربة .

١ — المجهود : يشمل كل الصفات الإخلاقية من نزاهة واخلاص وصبر واحتمال وتعاون الخ ...

وهو العنصر الذى يؤدى الى الفكر والعلم وعلى أساسه تبنى الطاقة الاجتماعية والتقدم فى جميع المرافق . لذلك يجب بكل تأكيد المحافظة على سلامتة بشتى الحوافز وبالقضاء على التناقض والظلم فى توزيع الأجور ومحاربة الانتهازية والشلل بكل الوسائل حفظا على مستقبلنا كمجتمع ودولة وحماية لأنفسنا كأفراد لأننا نعلم أن احترام الامم لبعضها مبنى على نشاط أفرادها وان احترامها لأفراد الأمم غيرها

مبنى على احترامهـــا لدولتهم ومجتمعهم . فالأمر بعيد الأثر وخطير .

٢ ــ الفكر : هو من أكبر النعم التى امتاز بها الانسان على سائر المخلوقات وكذلك كل أمة تمتاز عن غيرها بمستوى تفكيرها . فالويل للمجتمع الذى يفسد هذا العنصر بسوء تصرفه وبأنانية أفراده وحبهم لصالحهم الذاتى على حســاب الصالح العـــام .

فهذا العنصر هو أســـاس العلم وأساس الابداع وهو الصورة الرائعة للمجتمع .

٣ ــ العـــلم : هو مظهر النشاط الفكرى وليس مخزنا للمعلومات والنظريات فقط . فلابد إذن أن يكون وقـــوداً للفكر وطريقاً للابداع والاختراع وليس وســـيلة للاثراء والاستغلال والظهور . وليس معنى ذلك أن يهمل العلمـــاء فى المجتمع بل يجب أن يكون مستواهم أرفع المستويات حتى لا يقارنوا مستواهم بمستوى غيرهم من الجهلة والأفاقين والاستغلاليين فيتجمدون .

٤ ـ الخبرة والتجربة : لابد أن يكون هذا العنصر مبنياً على العلم والفكر والمجهود . والخبرة لا تتسع إلا على هذا الأساس .

هذه العناصر الاربع هى أساس تقدير مستوى العاملين وهى المقياس الذى يبين العطاء والأخذ وبين مستوى العمل فالعمل ـ مثلا ـ الذى لا يتضمن مجهودا كبيرا وليس فيه فكر أو علم من الخطر أن نرفع العاملين فيه إلى الحد الاقصى ماديا حتى لا يعتمد الأفراد على الحظ والنفاق والانتهازية وحتى لا يكون أمامهم إلا العمل والفكر والعلم ليصبح المجتمع وحدة فكرية هائلة .

لابد أن يكون العلم والعمل من أهم عناصر تدعيم قوى المجتمع وبقائه .

الاخلاق والمال

إن أروع ما قرأته فى هذا الشأن هو هذه الآية :ـ

(وما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى

القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم ...) وأيضاً :

(وأنفقوا مما جعلناكم مستخلفين فيه)

من هذا نرى أن المال لم يكن ملكاً خالصاً للأفراد وإنما هو ملك للمجتمع يعطيه المجتمع للأفراد من أجل أن يحولوه الى عمل والى علم والى خبرة وفكر والى عناصر قوة وتدعيم لبقاء المجتمع واستمرار حياته .

الاخلاق لا يهمها أسلوب الدورة المالية فى أى نظام أو مذهب ولكن الذى يهمها هو معالجة المشاكل الاجتماعية والقضاء على المآسى والمعوقات المادية أثناء هذه الدورة . فإذ ارتفع المستوى العام للفرد والأسرة فعلى الافراد مسئولية كبيرة أمام هذا العطاء . فليس الغرض من رفع المستوى هو مجرد الاستقرار والسعادة والترفه والتنعم . وإنما رفع المستوى والاستقرار هو عطاء من المجتمع يقابله عطاء آخر من الأفراد وهو زيادة العمل وزيادة المجهود والعلم والفكر والخبرة . ذلك أنه من الصعب أن يضحى أفراد بأنفسهم

وأولادهم من أجل رفاهية وسعادة الذين يرتعون بدون عمل أو علم أو مجهود .

إن الذين يعيشون عيشة اللامبالاه هم بؤرة خبيثة فى جسم المجتمع تفسد الدورة الاقتصادية وتؤخر تقدم المجتمع .

إن الذين يأخذون من المجتمع مالاً واستقراراً ولا يعطونه أعمالا وأفكاراً تتناسب مع ما أخذوه إنما يكونون ستاراً صلباً يعوق انطلاق الطاقة والنشاط .

وأسوأ من السوء إذا رضى المجتمع بذلك . هذه كلمة أهديها من كل قلبي إلى مجتمعى وكل ما فيه من هيئات وطوائف وأسر وأفراد .

الاخلاق

والاشتراكية والديموقراطية والتعاونية

١ - الاشتراكية : يظن الكثيرون أن الاشتراكية تنظيم سياسى أو اجتماعي أو اقتصادى . وربما نكون مخطئين أو غير مخطئين فى فهم الاشتراكية على هذا الوجه .

لكن الحقيقة التي يجب أن نفهمها ونضعها نصب أعيننا هى أن الإشتراكية تكوين نفسي أساسه المحبة والتسامح مع الوعى الانسانى والاجتماعى والأخلاقى .

على هذا الأساس تكون الاشتراكية أخلاق ووعى وإنسانية قبل كل شيء . وعلى ذلك يمكننا أن نقول أنه ليس من السهل أن يكون الانسان أو يكون الفرد أو المجتمع اشتراكياً . إذ أن المحبة والتسامح وما يتبعهما من صفات ومميزات نفسية وعقلية تختلفان في المستوى والحكم بين الأفراد والمجتمعات ، وقد يفتقدهما مجتمع ما أو فرد ما ويكون بعد الأفراد والمجتمعات عن الإشتراكية بمقدار بعدهم عن صفتى التسامح والمحبة

حياة الانسان عبارة عن تفاعل داخلى مع الظروف الخارجية المحيطة به وينشأ من هذا التفاعل توالد رغبات وميول تنمو ثم تتبلور فى صورة تنظيمات وقوانين .

ثم ان هناك اتجاها عاما الآن نحو الاشتراكية . فهل معنى ذلك أن المحبة والتسامح تسودان العالم الآن بالطبع لا .

لكن بدأ الانسان يشعر بضرورة المحبة وحقه فى السعادة والاستقرار بعد أن ذاق الأمرين من الحرمان السابق والظلم الفادح .

نستنتج من ذلك أن مقتضيات الاشتراكية ما يأتى : —

١ — الأخلاق والوعى .
٢ — تنمية المحبة والتسامح .
٣ — الشعور بالصالح العام .

١ ـ الأخلاق والوعى

لا أخلاق بدون وعى ولا وعى بدون ثقافة وتهذيب .
يقارن الكثيرون بين الأديان وبين الاشتراكية مع أن الأديان لم تأت لنشر مذهب معين وإنما هدفها رفع مستوى الأخلاق بما يتناسب مع مستوى الانسانية الرفيع من الناحية الفكرية والوجدانية وبما يشعر الأفراد والمجتمعات بالاستقرار والسعادة مع الشعور بالواجب والمسئولية والصالح العام .
إن هذا يتوفق مع الاشتراكية ومستلزماتها . فالاشتراكى السليم هو الشخص أو المجتمع الذى يمتاز بالاخلاص لانسانيته

أو بمعنى آخر هو الذى يمتاز بمشاعر رفيعة وعقلية واعية تتبلور فى مطالب و آمال تؤثر على طرق الحياة من النواحى السياسية والاجتماعية والاقتصـــادية . لا بد من أن تتوافق الأخلاق مع النظم . ومع التسامح والمحبة يحصل هذا التوافق بدون قسوة أو إرهاق .

وهذه المميزات هى التى يمتاز بها أيضاً الرجل المؤمن البعيد عن التعصب والجمود .

ولقد قال أحد المؤمنين عندما كان حاكماً (عمر بن الخطاب) لو كنت فى الحجاز وتألمت بغلة فى العراق لكنت مسئولا عنها

هذه صورة واضحة من الاشتراكية التى تنبع من الايمان ولكنها ليست هدف الايمان الوحيد .

إذا أردنا إذن أن نتكلم عن الاشتراكيـة فلابد من الكلام عن الاخلاق والثقافة والتهذيب .

أى المنبع الأصيل للاشـــتراكية وغيرها هو الأخلاق أو بمعنى آخر الفكر والوجدان فى أرقى مستواهما .

ويشمل ذلك الثقافة التى تؤدى إلى إنماء الوعى وتساعد

على ارتقاء الفكر والوجدان وتقوية الايمان وتقويم البنيان الداخلي لكل فرد .

٢ ـ المحبة والتسامح

هاتان الصفتان تدخلان ضمن البنيان الأخلاقى ولكن من الأفضل الاشارة إليهما بصفة خاصة لتنميتهما حتى لا تسود القسوة والعنف والقوة لحل النزاع والخصومات ولسهولة توافق الآراء والأمزجة عند التضامن والاندماج .

٣ ـ الصالح العام

الشعور بالصالح العام هو الميزان السليم الذى يقيد سلوكنا ليرضى الجميع عن الجميع . وهو الذى يوجه استغلالنا لميزاتنا الأخلاقية والثقافية والمادية حتى لا يطغى فرد على فرد ولا مجتمع على مجتمع . وهو الميزان الذى يوقف صفتى المحبة والتسامح عند الحد اللازم لهما .

تكلمنا عن الاشتراكية من الناحية الأخلاقية فما واجب الاشتراكى إذا كان عاملا أو عاملا أو غير ذلك ؟

وما واجب الدولة نحو المجتمع الاشتراكى ؟

واجب الفرد : واجب كل اشتراكى بصفة عامة مهما كان مركزه هو العمل المنتج مع تضامن المشاعر نحو هدف واحد وهو الصالح العام وسعادة الجميع . عند ذلك تزول الطبقات ولا يوجد غير تدرج فى الكفاءات فيزول الحقد ويزداد التعاون وتضعف المعوقات التى تؤخر انطلاق الفكر والوجدان .

واجب الدولة : الدولة فى الإشتراكية لا تمثل الطبقة الحاكمة وإنما تمثل أفراد ممتازين فى الوعى والإرادة تضامنت مشاعرهم مع مشاعر الشعب فى الرغبات والميول والآمال فجاءوا لينفذوا هذه الرغبات لصالح الجميع ويصبحوا مسئولين عن آلام الشعب وآماله . فمسئولية الدولة الاشتراكية مسئولية واسعة بها يضمن جميع الأفراد التعليم السليم والغذاء الكافى والكساء اللازم ليسود الاستقرار فيشعر الفرد بصلته الوثيقة بمجتمعه واحترامه لدولته فيزداد التعاون ويزيد الإنتاج ويضطرد التقدم وتسهل التضحية على النفوس من أجل المستقبل العام وهذه هى الصورة الواضحة للأخلاق .

نشأة الاشتراكية نتيجة للعيوب الأخلاقية والإنسانية في النظام الرأسمالي .

ذاقت الشعوب مرارة الحرمان تحت وطأة النظام الاقطاعي ثم النظام الرأسمالي مبدأ (دعه يعمل) .

في بادىء الأمر زاد الرأسمالي في ظل هذا المبدأ واتسع الانتاج وارتفع مستوى المعيشة إلا أن مزايا هذا النظام استأثرت بها فئة قليلة كان لها سلطة كبيرة بما كان لها من جاه ومال واستغلت الأغلبية العظمى استغلالا فاحشاً وقع معظمه على العامل الصغير والأسر الفقيرة مما كان له أسوأ الأثر على عقول المفكرين وغير المفكرين من عامة الشعب وكان رد الفعل لهذه المساوىء وهذا الاستغلال الغير أخلاقي وجود مذاهب متعددة أهمها المذهب الشيوعي والمذاهب الاشتراكية . فإذن النظم التي لا تعالج العيوب الاخلاقية التي لا تتخللها عند التطبيق والممارسة تقضي على نفسها بنفسها

فالاشتراكية إذن هي تضامن أخلاقي وارتباط إنساني لمحو هذه المساوىء والقضاء عليها بتنمية القيم الأخلاقية . وما

التنمية الاقتصادية والعدالة الاجتماعية إلا تطبيق لهذه القيم الأخلاقية . ولولا ذلك لكانت الاشتراكية مجرد نظام لا ترتبط بوجدان الانسان وفكره وطبيعة وجوده .

إذن الأخلاق هي العنصر الأول للبناء الاشتراكي إذا أردنا لهذا البناء الثبات والاستمرار بصورة واقعية وعادلة أي الكل يأخذ بحسب ما يعطي وعلى أساس المستوى الفكري ومستوى العلم والعمل والانتاج . ولابد أن يكون المستوى العلمي الرفيع الذي يؤدي إلى رفع كفاءة المجتمع في الابداع والاختراع أعلى مستوى مادياً أيضاً أي يجب أن يتناسب المستوى المادي مع المستوى الأدبي . فلا يرتفع جاهل على عالم إطلاقا وإلا أصبحت في النظام ثغرة تهدد كيانه .

إذن الاشتراكية يجب أن تكون قوة أخلاقية تطلق ما بداخلنا من الطاقات الفكرية والوجدانية وتؤدي إلى بلورة المواهب والنبوغ والاستفادة منها أقصى ما تكون هذه الاستفادة .

وإذا كانت الإشتراكية مبنية على المحبة والتسامح فذلك

يكون فى حدود الصالح العام .

الديموقراطية : تنظيم يسوده الأخلاق ولكنها ليست مذهباً لأننا قد نقول ـ ديموقراطية رأسمالية ـ أو ديموقراطية اشتراكية ـ أو ديموقراطية شيوعية . فالديموقراطية هى التنظيم الذى يتيح الفرصة للمناقشة ـ فى ظل أى نظام ـ حول مواضيع النزاع حتى لا يتحول النزاع إلى صراع يهدد كيان الأمة . وهذا لا يكون إلا بقوة الأخلاق . وأيضاً اهتمام الرؤساء والحكام بشكاوى الجماهير هو مظهر من مظاهر الديموقراطية والأخلاق معاً .

التعاونية : هى مظهر من مظاهر الأخلاق والانسانية التى تظهر تحت ظل جميع النظم لحماية المجتمع من عيوبه الأخلاقية إذا طبقت تطبيقا سليما . والتطبيق السليم لا يكون بدون الأخلاق وما يتبعها من نزاهة وإخلاص ووعى وتثقيف .

ومما يثبت ضرورة الأخلاق للمجتمع مهما كانت نظمه ومهما كان تقدمه فى جميع الميادين قول الشاعر :

لا تحسبن العلم ينفع وحده
مالم يتوج ربه بخلاق

فالأخلاق هى أساس وجودنا وأساس بقائنا وطريق قوتنا

تصحيح الخطأ

الخطـــأ	الصواب	الصفحة	السطر
أخطار	أفكار	٤	٢
فأن الفرد	فهل الفـــرد	٦	٣
يكونوا	ولا يكونوا	٨	٥
يحيط الأعداء	يحيط به الأعداء	٢٣	٧
وفيها	ومنها	٢٥	١٥
عدد	عـدو	٢٦	١٢
وتهورشهوة	وتهور وشهوة	٢٦	١٦
لا تشعر به	لاتشعر به النفس	٢٧	٦
يدفعها	ولا يدفعها	٢٧	١٤
لهذا	لهـا	٢٧	١٦
أهمية	أهيـة	٢٨	١٢
فيه	منه	٢٨	١٤
رائعة	رائغة	٢٨	١٤
إلى ذاقوها	التى ذاقوها	٣٠	١٦
أوراد	وراء	٣٤	١٠

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
لا يؤثر	ألا يؤثر	٣	٢
انقدمنا	تقدمنا	٣٥	٣
فتعصر	فتضعف	٤٠	٩
ولا يمله	ولا يحله	٥١	٢
ومن . . .	ومن الصعب	٥٤	١٠
لهما	لها	٥٥	١١
والعا	والعلم	٥٦	١٠
الحكم	الـكم	٦١	٨
مبدا (دعه يغمل)	وقد ساد فى النظام الرأسمالى مبدأ (دعه يعمل)	٦٦	٤ ٥
لا تتخللها	تتخللها	٦٦	١٤
الآلة	الدولة	٦٨	٧



كتاب الساعة

للمجتمع العربي بجميع هيئاته وتنظيماته وطوائفه

لمؤلفه

محمود أحمد سعيد

مكتب تحرير الاخبار باسكندرية

ص
٢٠

[illegible] للطباعة والنشر . [illegible]
[illegible]

Bibliotheca Alexandrina
مكتبة الإسكندرية
0275879